والتمثيل - والإصرار على أنّ قضايا كهذه تستلزم - بشكل لا اختزاليّ - بعداً أخلاقياً، ومواجهة للسؤال المتعلق بطبيعة الغايات التي تمّ الإلتزام بها (أو نوع القيم الأخرى والأولويات التي تمّ استثناؤها) عبر شروط الحقيقة الناتجة عن هذا الإجماع العقلانيّ "المتنوّر" أو ذاك.(٦)

لقد عمل ديريدا بلا شكّ على جعل الصيغ المتداولة لفكر عصر التنوير أكثر إشكاليةً، هذا الفكر الذي يمتدّ في جذوره إلى كانط - أو إلى نوع من القراءة الأرثوذكسية لكانط - نزولاً إلى هابرماس ومطالبته "بحالة الكلام المثالية" البريئة من كلّ الأخطاء، ومن "تلعثمات" أو شبهات خطاب التواصل اليوميّ. ولكن، وكما أظهرت بشكل واضح مساجلةُ ديريدا مع جون سيرل، فإنّ اهتمامه بتلك القضايا "الهامشية" و"المنحرفة" هو بحدّ ذاته اهتمام بمؤثّرات العالم الحقيقي - التبعات الإجتماعية والسياسية والأخلاقية - التي تستطيع دائماً أن تفلت من خلخلاتٍ كهذه في التركيبة "السويّة" لتيار الكلام - الفعل، والتقليد الإجتماعيّ، أو الرّبقة التواصلية الواثقة من نفسها.(٧) وهذا ينطبق قبل كلّ شيء على تلك المقالات (من مثل "مبدأ العقل") التي يعمد ديريدا من خلالها بلا شكّ إلى "تفكيك" خطاب النقد التنويريّ، ولكن دائماً مع احترام شكّاك لبرتوكولات البحث العقلاني وأخلاقية السّجال الأيديولوجيّ المفتوح.(٨) و لكن هذا لايعني بأنّ التفكيكية هي مجرّد تنويع متأخّر على النقد الأيديولوجيّ الكانطيّ أو الماركسيّ، أو هي خطاب يستخدم أساليب رفيعة (بلاغية) أعلى للوصول إلى نفس النتائج. ولكن من المفيد جدّاً أن نؤكّد الإختلاف الجوهريّ بين مشروع ديريدا وبين تلك النماذج من الفكر النصّي مابعد الحداثويّ الذي تكمن غايته المرجوّة (كما هي الحال مع بودريار) في رمي جلّ الإرث التنويريّ النقديّ جانباً.

دعني أستشهد ببعض المقاطع المناسبة من مقالة ديريدا المعنونة "لاحقة: باتجاه أخلاقيةٍ للجدل" (١٩٨٩)، وهي مقاطع تخاطب بدقّة هذه القضية، والتي لا يمكن بأن تُتّهم - مثل بعض الصّياغات السابقة في أعماله المبكّرة -